الأخلاق الأرسطية وامتدادها في الفلسفة الإسلامية

الدكتور/ أحمد عبدالحليم عطية*

مقدمة :

نتناول في هذه الدراسة النظرية الأخلاقية الأرسطية التى تضمنها كتاب «الأخلاق إلي نيوقماخوس» [١] وامتدادها لدى الفلاسفة العرب المسلمين : الكندى ، الفارابى ، ابن عدى ، العامرى ، مسكويه ، ابن باجة وابن رشد ، على ان يخرج عن اطار هذه الدراسة الجهود المختلفة التى قدمها المفكرون والكتاب خارج نطاق الفلسفة بمعناها التقليدى ، والتي نجدها فى شكل أفكار أولية فى القرآن والحديث النبوي وبشكل أكثر وضوحا فى علم الكلام والتصوف وأصول الفقه والتى لا يظهر فيها الأثر الأخلاقى الأرسطي[٢] . ونعتمد فى هذه الدراسة علي التحليل النصي لكتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس» ورحلة هذا الكتاب داخل نصوص الفلاسفة العرب المسلمين .

---

(١) هناك عدد من الأعمال الاخلاقية قدمها أرسطو هى : الأخلاق إلى نيقوماخوس، والأخلاق إلى أوديموس والأخلاق الكبرى ورسالة صغيرة بعنوان «فى الفضائل والرذائل» يبدو إنها لأحد المشائين و «كتاب في العدل» وأهمها علي الاطلاق الأول والثانى . وسنكتفى بما جاء في الأول من نظريات وقد ترجم الكتاب قديما للعربية ، ترجمه اسحق بن حنين وحققه ونشره عبدالرحمن بدوى، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٩، وسبق أن ترجمه عن الفرنسية أحمد لطفى السيد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٤ .

(٢) لسنا بصدد الحديث عن الأخلاق الاسلامية أو الاخلاق فى الفكر الاسلامى فهى اشمل من الاخلاق الفلسفية . وقد رأى أحمد محمود صبحى هذه الأخلاق لدي العقليين والنوقيين أو علماء الكلام والصوفيين. ويمكن دراسة الأخلاق الاسلامية فى مجالات متعددة تعطى مجتمعه صورة دقيقة لهذا الأخلاق انطلاقا من القرآن الكريم والحديث النبوى وعلم الكلام وأصول الفقه وحتى كتب الأدب العربي المختلفة مثل ألف ليلة وكتاب الأغانى وذلك كما فعل المستشرق الهولندى دى بور فى دراسته الخلاق والحياة الاخلاقية في الاسلام ، المجلد الخامس من. دائرة معارف الدين والأخلاق ، انظر ترجمتنا ودراستنا لهذا العمل فى دراسة اخلاقية ، دار قباء القاهرة ٢٠٠٠م.

* آداب القاهرة .

وإذا تساءلنا لماذا أرسطو اليوم ؟ تقابلنا اجابتان : الأولى قدمها أحمد لطفى السيد حين اقبل علي ترجمة الاخلاق إلى نيقوماخوس في العشرينات من القرن العشرين ، والثانية قدمها برتران سان - سرنا في الفصل الثامن والأخير من كتابه «العقل في القرن العشرين» حيث يستشعر ضرورة العودة إلى أرسطو. وتحت عنوان «أرسطو مفكر عصرى» يتساءل فيما يفكر أرسطو لو عاد إلينا في نهاية القرن العشرين .

يتساءل برتران سان - سرنا ونتساءل معه هلى سيجد أرسطو أمامه المفتش العام ليفرض عليه الصمت أم انه سيلقي النجاح؟ يقول «نود الاصغاء» إلى أرسطو جالسا فى لجنة عن الأخلاقيات : هل سيقبل نسبية وتنوع الأخلاق بوصفها واقعاً؟ هل سيعير انتباهه لهابرماس؟ هل سيقود أعضاء اللجنة إلى الكشف عما وراء اختلاف القيم من كلية مستترة غير متعالية حالة عند الفاعلين؟ هل سيضيف مؤلف كتاب الشعر في تأمله للقرن العشرين فصلا لدراسته عن التراجيديا؟ لعله سيرينا أن التراجيديا ليست إلا ممارسة الاختيار. عندما تكون محكات التقييم متعددة ولا تنتهى إلى الوحدة. ان كتاب الشعر بالفعل لا يتناول الفن وحسب ، انه يتناول العمل ، صعوبته وعتمته وصراعاته[1] . وأرسطو فوق كل شيء هو أبو الاخلاقيات . إن الأخلاق وإن كانت كلية فى التزاماتها القصوى لا تغفل قط عن تفرد الكائنات والظروف .

أننا نعيش ونعمل ونفكر في عالم غير مستقر الاشكال والقوى .. يضاف إلى ذلك ان المفكر المأساوى هو أيضا محلل الأزمات . ولهذا لا نحس به (أرسطو) كفيلسوف بعيدا عن عصرنا عندما نفكر في نهاية القرن العشرين ، وبشكل خاص عندما نفكر فى عدم اليقين الذى يثقل العلم بوصفه نظرية» [2].

ويقدم لنا أحمد لطفى السيد الذى يمثل المدرسة الحديثة فى الفكر المصري

---

(١) برتران سان . سرنا : العقل في القرن العشرين ترجمة د. فاطمة الجيوشى وزارة الثقافة السورية ، دمشق ٢٠٠٠م ، ص ٢٤٨.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

عدة أسباب لاعادة التعرف على فلسفة أرسطو فى العصر الحديث ،. فهى بالاضافة إلى كونها تمثل الفلسفة العربية الاسلامية والباعث علي النهضة الاوروبية الحديثة فهى انسب الفلسفات بالنسبة لنا في العصر الحالى لاتفاقها مع العقائد القومية والتعاليم الدينية، وهى من جهة أخرى تمكن من الكشف عن اطبيعة والقدرة علي الحكم علي القضايا المختلفة ، ويمكن أن نجد في تصديره لترجمته «الأخلاق الى نيقوماخوس» بعض الأقوال التي توضح مبررات توجهه نحو فلسفة أرسطو[١] .

يهتم لطفى السيد بالبداية ، والبداية عنده هى استمرار للفلسفة العربية الاسلامية ، التى هى ليست شيئا اخر سوى الفلسفة بالألف واللام ، فلسفة أرسطو طاليس. فنحن «اذا شئنا ان تكون لنا فلسفة مصرية تأتلف ومعلوماتنا وجب علينا ان نجدد الفلسفة العربية التى فقدت اعيانها ولم تبق إلا آثارها، أو بطريقة أقرب ان ندرس فلسفة أرسطوطاليس ، فإن الفلسفة العربية فى مجموعها هى فلسفة أرسطوطاليس» [٢] .

انها – كما يرى – الطريق إلي النهضة التى ننشدها ، فهى أداة التفكير العلمي الحديث [٣]. فهو يريد الجمع بين العلم والدين بين تاريخنا الفكر، والنهضة الأوروبية ، لذا يري ان الطريق القريب والأمين الخالي من العقبات إلى تمكين

---

(١) احمد لطفى السيد تصدير ترجمته العربية للأخلاق إلى نيقوماخوس .
يقول : لما اتجهت الميول العامة منذ زمان إلى ادخال التعاليم الفلسفية فى مدارسنا ومعاهدنا الدينية ، فكرت في أى مذاهب الفلسفة يمكن الابتداء به ، بحيث لا يصدم العقائد القومية ولا ينافر التعاليم الدينية ، فظننت ان أولى مذاهب بالقبول عندنا الآن وأسرعها تمثلا في الافهام وابعدها عن التضاد الصريح للمألوف من منازعنا والراسخ من عقائدنا هي فلسفة أرسطوطاليس» ص ١٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

(٣) وكما ان النهضة الاوروبية الحديثة عمدت الى درس فلسفة أرسطو على نصوصها الاصلية.. فكانت مفتاحا للتفكير العصرى الذى اخرج كثيرا من لمذاهب الفلسفية الحديثة. فلا جرم ان تتخذ نحن فلسفة أرسطو واكرر انها اشد المذاهب اتفاقا مع مألوفاتنا الحالية، الطريق الاقرب الي نقل العلم إلى بلادنا وتأقلمه فيها . رجاء ان تنتج في النهضة الشرقية مثل ما انتج في النهضة الغربية » ص ٥١.

الفلسفة من بيئاتنا العلمية لتنتج في الذكاء المصرى قوى الكشف عن أسرار الطبيعة والاختراعات المتنوعة وصحة الحكم علي الاشياء هو اتخاذ فلسفة يجتمع فيها التوحيد وبناء العلم على المشاهدة فى آن واحد أو بعبارة أخرى فلسفة أرسطوطاليس . يقول : «ولذلك اعتزمت أن أنقل الى العربية أهم اجزائها» [1] .

أولا : الأخلاق إلى نيقوماخوس :

يأتى الأخلاق الى نيقوماخوس في مقدمة اعمال أرسطو الاخلاقية وفيه تفاصيل مذهبه الاخلاقى بالاضافة إلي كتابه «الأخلاق الأوديمية» أو الاخلاق الى أوديموس ، يضاف لهذين العملين الاساسيين كتاب «فى الفضائل والرذائل» وهو أقل أهمية وأصالة وكتاب «الأخلاق الكبرى» والذي يعد تلخيصا قام به أحد المشائين لأخلاق أرسطو . ويتكون «الأخلاق إلى نيقوماخوس» من عشرة أبواب أو عشرة كتب. سوف نشير إلى محتوياتها وموضوع كل كتاب منها حتى يتسني لنا بيان معرفة المترجمين والفلاسفة العرب للعمل وتأثيره فى كتاباتهم الأخلاقية ترجمة وتلخيصا، شرحا وتعليقا .

يدور الكتاب الأول حول نظرية الخير والسعادة وينقسم إلى أحد عشر بابا، يوضح الباب الأول ان الخير هو غرض أفعال الإنسان جميعها فيذكر الخيرات المختلفة ويبين أهمية الخير الأقصى ، وعلاقة الأخلاق بالسياسة، ويبين الباب الثاني أن الغرض الأسمى للإنسان هو السعادة واختلاف الاراء فى طبيعة السعادة ونقد نظرية المثل الافلاطونية والتمييز بين الخيرات في ذاتها وبين التي ليست خيرات إلا بسبب شيء آخر . والباب الرابع وفيه بيان أن الخير فى كل صنف هو الغاية ، وأن السعادة هى الغاية القصوى لجميع أعمال الإنسان فهى مستقلة وكاملة . وأنها لا تعرف إلا من خلال عمل الإنسان . ونجد فى الباب السادس تقسيم الخيرات إلى ثلاثة أنواع : خيرات البدن، وخيرات النفس والخيرات الخارجية . ويبين أرسطو في الباب السابع أن الإنسان وحده من بين

---

(١) المرجع السابق ص ١٩ ، ٢٠ .

جميع الكائنات هو الذى يمكن أن يكون سعيدا، لأنه وحده الجدير بالفضيلة ويناقش هل يشعر الإنسان بالخيرات والشرور بعد الموت؟ ويبين في الباب الثامن أن الفضيلة هى علة السعادة الحقة، ويعرض فى الباب العاشر نظرية أودكس فى اللذة، ويوضح أن السعادة تستوجب احترامنا لا مدائحنا لأنها المبدأ والعلة للخيرات التي نرغب فيها .

ويقسم فى الباب الحادى عشر الفضائل الي فضائل عقلية وفضائل خلقية . ويدور الكتاب الثاني الذى يتكون من تسعة أبواب على نظرية الفضيلة حيث يميز كما ذكرنا الفضائل إلي عقلية وأخلاقية وأن الفضيلة تتكون عن طريق العادة ويؤكد في الباب الثاني علي ضرورة الاعتدال فالإفراط أو التفريط يفسد الفضيلة. ويؤكد في الباب الثالث علي ضرورة الاهتمام باللذة والألم . ويحدد فى الباب الرابع شروط العمل الفاضل الثلاثة وهى : العلم والإرادة والثبات ويقدم فى الباب الخامس النظرية العامة للفضيلة وفى السادس طبيعة الفضيلة والوسط الاخلاقى وصعوبة تحديده ، وأن الفضيلة وسط بين رذيلتين إحداهما إفراط والأخرى تفريط . ويتناول فى الباب السابع فضائل : الشجاعة والاعتدال والسخاء والاريحية وكبر النفس والصدق والبشاشة والصداقة والتواضع والإخلاص والحسد وسواء النية . ويواصل فى الباب الثامن بيان ذلك حيث تقابل الوسط والطرفين والتاسع فى صعوبة أن يكون الإنسان فاضلا .

ويتناول في الكتاب الثالث بقية نظرية الفضيلة في الشجاعة في الاعتدال وذلك في ثلاثة عشرة بابا وتدور الأبواب الخامسة الأولى علي الإرادة والأفعال الإرادية والسادس في أن الفضيلة والرذيلة ارادتان والسابع والثامن في الشجاعة والتاسع فى أنواع الشجاعة ومن الحادى إلى الثالث عشر فى الاعتدال.

ويستمر فى الكتاب الرابع فى تحليل الفضائل المختلفة : السخاء ، الاريحية، المروءة ، الحلم ، الصدق ، الحياء .

ويتناول فى الكتاب الخامس بأبوابه الأحد عشر نظرية العدل الأول فى حد العدل والثانى التمييز بين العدل والظلم أو الفضيلة والرذيلة والتمييز بين نوعين من العدل ، الأول سياسي اجتماعي ثم يتناول فى الباب الثالث والآخر قانونى يتناوله فى الباب الرابع ثم يتناول الظلم فى الباب السادس .

ويتناول الكتاب السادس نظرية الفضائل العقلية التى ينبغي من أجل فهمها حق الفهم دراسة النفس ويتناول وسائل النفس للوصول الى الحق : الفن ، العلم، التدبير ، الحكمة ، والعقل الذى يتناولها في الفصول التالية . ويخصص الكتاب السابع لنظرية اللذة حيث يتناول أنواع اللذة والألم ، هل اللذة خير وهل هي الخير الأعلي ؟ أنواع اللذات وأسبابها ، العلاقة بين اللذة والسعادة .

وموضوع الكتاب الثامن الصداقة ، مميزاتها فى أنها ضرورية لحياة الإنسان، أهميتها للفرد وأهميتها للسياسة ، الصداقة والحب . والباب الثانى فى موضوع الصداقة ويبين فى الثالث أنواعها : صداقة المنفعة وصداقة اللذة وصداقة الفضيلة ، ويقارن بينهم فى الباب الرابع وفى السادس الصداقة الحق وفي التاسع روابط العدل بالصداقة فى كل صورها والثانى عشر فى المحبة العائلية ويتابع فى الكتاب التاسع نفس الموضوع فيتحدث عن : العطف . الوفاق، النعم ، الأثرة أو حب الذات ، عدد الأصدقاء ، هل الأصدقاء ضروريون؟.

ويعود فى الكتاب العاشر لتناول اللذة والسعادة . حيث يعرف فى الباب الأول اللذة وأنها هى أكثر الإحساسات ملاءمة للنوع الإنسانى ، وأهميتها فى التربية وفى الحياة ويفحص فى الباب الثانى النظريات السابقة فى طبيعة اللذة حيث يعرض نظرية أويدوكس الذى يجعلها الخير الأعلى ورأي أفلاطون وتصوره الخاص للذة . ويقدم فى الباب الثالث النظرية الجديدة للذة ويبين فى الباب الرابع الارتباط بين اللذة والحياة ويوضح فى الباب الخامس اختلاف اللذات وتنوعها بين لذات حسية ولذات عقلية ثم يعود إلى تناول السعادة فى الباب السادس وأنها تختلف عن اللذة وفى الباب العاشر والأخير يؤكد أهمية العمل، وتأثير الطبع وضرورة التربية الحسنة والسياسة وارتباط علم الأخلاق والسياسة وأن السياسة

عنده تتلو الأخلاق .

تلك هي الموضوعات الأساسية ، التى عرض لها أرسطو فى كتب الاخلاق الى نيقوماخوس العشرة التى توضح لنا نظريته فى الخير والخير الأقصى والسعادة والفضيلة والرذيلة والفضائل المختلفة واللذة والألم والفرق بين اللذية والسعادة وموقفه المتميز حول اللذة الذى يختلف عن موقف السابقين عليه وغيرها من موضوعات كالعدل والظلم والصداقة والمحبة التى أثرت لدى الفلاسفة العرب كثيرا من التأملات كما سنرى فى الفقرات القادمة .

ثانيا : الأخلاق الي نيقاماخوس والفلاسفة العرب المسلمين :

١ - الكندي :

لا نستطيع وفق ما تبقي لدينا من مؤلفات للكندى أن نؤكد علي تأثره بالأخلاق النيقوماخية حيث تذكر المصادر القديمة للكندى عدة رسائل أخلاقية مثل «رسالة في التنبيه على الفضائل» كما نجد عند ابن النديم ، أو «كتاب الفضائل في آداب النفس» كما لدى ابن جلجل ، بينما يذكر له صاعد الأندلسى «كتاب آداب النفس» ورسالته «فى تسلية الاحزان» المعروفة باسم «رسالة فى الحيلة لدفع الاحزان» . والأخيرة فقط هى المتاحة للقراء المعاصرين [١] بينما فقدت الرسائل الأخرى وغيرها مثل «رسالته فى خبر فضيلة سقراط» . ومن هنا اتجهت الابحاث القليلة ، التى دارت حول فلسفته الأخلاقية إلى التأكيد على الجوانب السقراطية الافلاطونية والرواقية عنده .

حيث نجد كل من ماجد فخرى في : «تاريخ الفلسفة الاسلامية» و «دراسات فى الفكر الأخلاقى العربى» يشير إلى الأثر السقراطى في الأخلاق عند

---

(١) انظر : ابن النديم : الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ص ٣١٩، وابن جلجل : طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥ ص ٧٣ ، ٧٤ وصاعد الإندلسى : طبقات الأمم تحقيق حياة العهد بوعلوان، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٥

الكندي[1] وكذلك حنا الفاخوري وخليل الجرفي «تاريخ الفلسفة العربية»[2] وناجي التكريتي في «الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام» الذي يؤكد الأثر الأفلاطوني لديه . لقد كان يتصور إلى عهد قريب ، كما يرى التكريتي، ان الكندي فيلسوف مشائي ، ولكن ظهور رسائله وطبعها القى اضواء كثيرة على حواش فلسفته ، ولا شك أن جزءا كبيرا مهما من هذه الفلسفة أرسطي . ولكن جزءا منها لا يقل في أهميته عن الجزء الأرسطي يمكن ان نقول عنه إن اساس فلسفته أفلاطوني . لقد فطن صاعد الأندلسي إلى تأثر الكندي بأفلاطون، إلا ان أوضح اثر لافلاطون على الكندي هو نظريته في النفس ، وكذلك ما يتعلق بالسيرة الفلسفية كما ترد في رسالته في دفع الاحزان»[3] التكريتي ص ١٣٥، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٦ ونجد نفس الموقف لدى ريتشارد فالتزر R.Walzer في كتابه Greek into Arabic خاصة في New studies on Al-Kindi الذي يرى فيها «ان فلسفة الكندي الخلقية غير معروفة إلا قليلا ولكن يبدو أنها أفلاطونية وخصوصا قوله عن الفضيلة ، حيث تختلف عن الأخلاق الأرسطية كما في نيقوماخوس» . ويرى جورج عطية في دراسته بالانجليزية عن الكندي Al-Kindi The Philosopher of The Arab . ان الفضيلة عنده أقرب إلى الرواقيين . وهذا ما يؤكد عليه فخري ايضا في «الفكر الاخلاقي العربي» ، وفضيلة عباس التي أكدت أصول أفكار الكندي الرواقية. فنظرة الكندي إلي السعادة لها جانب رواقيٌ وجانب أرسطي أفلاطوني يتمثل الأول في قوله أن السعيد يملك ارادة منسجمة مع طبائع الأمور والاحداث والسعادة هي السيرة بمقتضي الطبيعة،

---

(١) ماجد فخري : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، الدار لمتحدة للنشر ١٩٧٤ ص ١٣٣، ١٣٤وأيضا دراسات في الفكر الأخلاقي العربي : نصوص اختارها وقدم لها د. ماجد فخري ، الاهلية للنشر والتويزع بيروت ١٩٨٦ ص ٢٢٧.

(٢) حنا الفاخوري، خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية الجزء الثاني بيروت دار المعارف ١٩٥٨ ص ٦٦.

(٣) د. ناجي التكريتي: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الاسلام، دار الاندلس، بيروت ط٢، ١٩٧٩ راجع صفحات ١٣٥و ١٣٧، ١٤٢، ١٤٦ .

وذلك في دراستها «نظرية السعادة في الفلسفة الاسلامية من الكندي إلي الغزالي» (جامعة بغداد ١٩٧٦) ومن هنا تخصص دراسة أخري لها عنوان ذو دلالة هي «التأثيرات الرواقية في رسالة الحيلة في دفع الأحزان للكندي» التي تؤكد فيها وجود أثر رواقي متأثر بالأفلاطونية المحدثة في أفكاره عن مصير النفس بعد الموت(١).

ومن هنا لم يشر إلي الكندي الباحثون الذين تناولوا أثر كتاب الأخلاق إلي نيقوماخوس في العربية، مثل عبد الرحمن بدوي في مقدمة تحقيقه للترجمة العربية للكتاب ولا لورانس ف. بيرمان، الذي عرض في الفقرة الأولي من دراسته أثر شرح ابن رشد الوسيط لكتاب الأخلاق إلي نقوماخوس» إلي نقل الكندي الأخلاق النيقوماخية إلي العربية(٢).

٢- الفارابى:

لقد كانت العربية هي اللغة الأولي التي تمت ترجمة النسخة الكاملة من الأخلاق النيقوماخية إليها. اضافة إلي هذا ظهر تلخيص الاسكندرانيين للكتاب في العربية. وإذا اردنا تتبع رحلة الكتاب في العربية نجد ان الفارابي هو أول من اهتم به من الفلاسفة المسلمين. فقد ألف شرح للأخلاق النيقوماخية (أو اجزاء منه) بالعربية. ومع ان هذا الشرح قد فقد في العربية، فقد كان له اثر هام في تطور الفكر الأخلاقي اللاحق. ويمكننا استشفاف طابع هذا الشرح من كتاب الفارابي «فصول منتزعة» من اقاويل القدماء، الذي نشره المستشرق د.م. دتلوب ١٩٦١ واعاد نشره فوزي نجار ١٩٧١ مع تصحيحات وزيادات. وهذا الكتاب

---

(١) وفضيلة عباس: نظرية السعادة في الفلسفة الاسلامية من الكندي إلي الغزالي، جامعة بغداد ١٩٧٦ ايضاً، التأثيرات الرواقية في رسالة الحيلة في دفع الأحزان للكندي، مجلة أداب الرافدين، جامعة الموصل نقلاً عن حسام محيي الدين الالوسي فلسفة الكندي، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٤.

(٢) د. عبد الرحمن بدوي: مقدمة تحقيق الترجمة العربية لكتاب أرسطو الأخلاق إلي نيقوماخوس. وكالة المطبوعات الكويت المقدمة. ولورانس ف. بيرومان: أثر شرح ابن رشد الوسيط لكتاب الأخلاق إلي نيقوماخوس ترجمة د. احمد عبد الحليم عطية، مجلة القاهرة العدد ١٥٠.

يوصف في احد المخطوطات بأنه «جمل وفصول منتخبة من علم الأخلاق تشمل علي اكتساب فضائل النفس الانسانية والإجتناب عن رزائلها»(١).

يذكر لنا ابن ابي اصيبعة من بين كتب الفارابي شرح صدر كتاب الأخلاق لأرسطو طاليس (٢) ويقول ابن النديم ان له تفسير قطعة من كتاب الأخلاق لأرسطو طاليس(٣). ويشير إليه ابن باجة في رسالة الوداع بقوله: «... وهو الذي شأن الناس أن يفهموه من كلام أبي نصر في شرح نيقوماخيا»(٤) وهو ما يؤكد عليه قول الفارابي نفسه في كتابه الجمع بين رأيي الحكيمين «أن أرسطو في كتابه المعروف ب «نيقوماخيا» إنما يتكلم عن القوانين المدنية، علي ما بيناه في مواضع من شرحنا لذلك الكتاب، ولو كان الأمر فيه أيضاً علي ما قاله فرفوريوس وكثير ممن بعده من المفسرين انه يتكلم عن الأخلاق(٥).

ويثير بدوي قضايا عديدة حول ترجمة الفارابي هذه منها عدم وجود ذكر للأخلاق في كتاب الفارابي «فلسفة أرسطو طاليس وأجزاء فلسفته ومراتب اجزائها والموضع الذي منه ابتدأ وإليه انتهي»(٦).

وإذا تناولنا مؤلفات الفارابي نجده اشتغل بالأخلاق في عدة اعمال هي بالاضافة إلي شرحه المفقود علي نيقوماخيا و«التنبيه علي سبل السعادة».

---

(١) د. ماجد فخري: دراسات في الفكر الأخلاقي العربي، ص٢٨٩.

(٢) ابن أبي اصيبعة: عيون الأبناء في طبقات الاطباء.

(٣) ابن النديم: الفهرست، طبعة فلوجل.

(٤) ابن باجة: رسالة الودع في رسائل ابن باجة الالهية، تحقيق د. ماجد فخري، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٦٨ ص١١٦.

(٥) الفارابي: الجمع بين رايي الحكمين، تحقيق البير نصري نادر، مكتبة دار المشرق، بيروت.

(٦) والمشكلة الثانية تثيرها عبارة وردت في كتابه «الجمع بين رأيي الحكيمين» يقول فيها «وليس ينكر أرسطو أن بعض الناس يمكن فيه التنقل من خلق إلي خلق أسهل وفي بعضهم أعسر، علي ما صرح به في كتابه «نيقوماخيا الصغير» فما المقصود «بنيقوماخيا الصغير»؟ ويناقش بدوي تحليل هذه العبارة كما جاء في بحثين قدمها دوجلاس م. دنلوب هما: ملاحظات علي الترجمة العربية في النص الوسيط لكتاب أرسطو الأخلاق إلي نيقوماخوس» والثاني «مخطوط تيمور باشا (١٩٠ أخلاق) ومختصر الاسكندرانيين».

و«تحصيل السعادة» وفصول منتزعة[1] وقد اورد لنا ماجد فخري في كتابه «الفكر الأخلاقي العربي» عدة مقتطفات من فصول منتزعة تدور علي قوي النفس واقسام الفضائل الخلقية والنطقية، وماهية العدالة وصلتها بالاعتدال واقسام الفضائل الفكرية، والعدل وكلها تعكس بصورة جلية تأثير «الأخلاق النيقوماخية» مما يؤيد انها قد تكون فصولاً منتزعة من شرحه المفقود علي الكتاب [2].

ويخفف ابراهيم عاتي في دراسته «الانسان في فلسفة الفارابي» من أثر أرسطو علي المعلم الثاني. وان كان تحليله ونصوصه تؤكد هذا الأثر وتوضحه. فهو يري ان الفارابي عارض اثبات وجود الله عن طريق المحرك الذي لا يتحرك واتبع منهج الجدل الهابط الذي يقوم علي فكرة الوجود نفسها لمعرفة وجود الله[3]. ويري ان اشارة اغلب الباحثين لمتابعة الفارابي تعريف أرسطو للنفس غير مطابقة للحقيقة، ذلك لأن ابا نصر لم يذكر هذا التعريف مرة واحدة فقط. وان كان اشار إليه منسوباً إلي أرسطو في رسالة صغيرة هي «المسائل الفلسفية» ولم يشر إلي انه قد وافق أرسطو علي هذا التعريف كذلك لم يشر إلي انه قد رفضه[4].

ويري انهما يتفقان في الاطار العام لتحليل الحواس والتمييز بين الحواس

---

(١) حققت اعمال الفارابي الأخلاقية تحقيقاً علمياً حيث حقق د. سحبان خليفات: رسالة التنبيه علي سبيل السعادة. الجامعة الأردنية، وحقق جعفر إلي ياسين: تحصيل السعادة ، دار الاندلس ط٢ بيروت ١٩٨٣ وحقق دنلوب ونشر فصول منتزعة، عام ١٩٦١، واعاد نشره فوزي النجار(١٩٧١).

(٢) د. ماجد فخري: دراسات في الفكر الأخلاقي العربي ص٢٨٩، ٣٠٥ وقد خصص دراسة للفلسفة عند الفارابي: الكتاب التذكاري عن الفارابي. اشراف د. ابراهيم بيومى مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٣) د. ابراهيم عاني: الانسان في الفلسفة الاسلامية نموذج الفارابى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٧٧.

(٤) ويعود الباحث فيذكر ان هناك من الشواهد ما يشير إلي ان ابا نصر تبني جانباً من تعريف أرسطو للنفس. ويعرض لنظرية الفارابي في الادراك الحسي. والتي تشبه تأثير المحسوسات في الحواس بتأثير الخاتم في الشمع، وهي نظرية ذات أصل أرسطي (النفس: ك٢، ف١٢).

الظاهرة والحواس الباطنة، ويجعل مركز الحس في القلب متفقا في ذلك مع أرسطو[1] ونجد لديه نفس التحليل الأرسطي. ويتابع الفارابي تحديد الافرديسي تقسيماً رباعياً للعقل عند أرسطو[2].

ويري وهو ما يهمنا ان الفارابي يسوي في السياسة المدنية بين الخير والسعادة فالسعادة هي الخير علي الإطلاق. ويؤكد في «المدينة الفاضلة» أن السعادة هي الخير المطلوب لذاته وهو يحذو في ذلك حذو المعلم الأول، الذي يري ان السعادة هي علي التحقيق شئ نهائي كامل مكتف بنفسه مادام انه غاية جميع الأعمال الممكنة للانسان[3]. كذلك الفضيلة عند الفارابي هي خير، ولكن ليس خيراً لذاته، بل لأجل السعادة، وهذا هو موقف أرسطو أيضاً الذي يري ان الفضيلة هي خير يراد، لبلوغ السعادة (أرسطو: ك أ ب ٤ فـ٥ ص١٩١) وتقسيم الفضائل عند الفارابي إلي عقلية وخلقية، الذي يقدمه في فصول المدني[4] ويعرض للفضيلة الخلقية التي يعرفها تعريف أرسطو (ص٢٢٢ - ٢٢٣). ورأي الفارابي الذي ينفي ان الفضائل توجد عند الانسان بالفطرة أو الطبع يرجع جذورها إلي أرسطو)[5] (ك٢ ب١ فـ٢ ص٢٢٥-٢٢٦) والوسط الأخلاقي عند الفارابي كما يقدمه في (فصول المدني ص ١١٣) عرضه أرسطو في الأخلاق ك٢ ب٦ والقضايا المختلفة التي يذكرها الفارابي نقلاً عن أرسطو (ك٢ ب٧ فـ١ -١٣).

- الفضائل صنفان: خلقية ونظقية: فالنطقية هي فضائل الجزء الناطق مثل: الحكمة والعقل والكيس والذكاء وجودة الفهم، والخلقية هي فضائل الجزء النزوعي

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٦ و ص١٣٧.
(٢) المرجع السابق، ص١٦٢.
(٣) المرجع السابق، ص٢٢٤ -٢٢٥.
(٤) المرجع السابق، ص ١٠٨، أرسطو، ك٢، ب١، فـ١، ص٢٢٥.
(٥) الموضع السابق.

مثل العفة والشجاعة والسخاء والعدالة. وكذلك الرذائل تنقسم هذه القسمة وفي حيز كل قسم منها اضداد هذه التي عدت واغراضها(١).

- قوي النفس: فصل الاجزاء والقوي العظمي التي للنفس خمسة: الغازي والحاس والمتخيل والنزوعي والناطق: أرسطو: ك١ ف١٣. والنفس ك٣.

- القوي الناطقة هي التي بها يعقل الإنسان وبها تكون الرؤية وبها يقتني العلوم والصناعات وبها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال. وهذه منها عملي ومنها نظري.

- فصل الهيئات الطبيعية والاستعدادات نحو الفضيلة أو الرذيلة متي انضافت إليها الأخلاق المشاكلة لها وتمكنت بالعادة. كان ذلك الانسان في ذلك الشئ اتم ما يكون.

- فصل: الافعال التي هي خيرات، هي الأفعال المعتدلة المتوسطة بين طرفين هي جميعاً شر احداها إفراط والآخر نقص. وكذلك الفضائل فإنها هيئات نفسانية وملكات متوسطة بين هيئتين وكلتاهما رذيلتان(٢).

- فصل المعتدل والمتوسط يقال علي نحوين، أحدهما متوسط في نفسه والآخر متوسط بالقياس إلي غيره، المتوسط في نفسه مثل توسط الستة بين العشرة والاثنين.. والمتوسط بالاضافة يزيد وينقص في الأوقات المختلفة وبحسب اختلاف الاشياء التي إليها يضاف مثل الغذاء المعتدل للصبي والمعتدل للرجل النام الكدود فإنه يختلف بحسب اختلاف بدنهما(٣).

أقسام الفضائل الفكرية: فصل: اسم العلم يقع علي اشياء كثيرة. إلا أن

---

(١) نعتمد هنا في بيان هذه النصوص علي ما نشره ماجد فخري لفصول منتزعة في كتابه الفكر الأخلاقي العربي ص٢٩١ قارن أرسطو الاخلاق إلي نيقوماخوس الكتاب الثاني، الفصل الأول، والكتاب السادس، الفصل الثالث.

(٢) الفارابي فصول منتزعة نقلاً عن ماجد فخري ص٢٩٠ وأرسطو الكتاب السابع ، الفصل ١، ٢ فصول منتزعة ص ٢٩٢ وأرسطو الكتاب السابع، والفصل الأول ١١٤٥ والثاني الفصل ٧، ٨.

(٣) فصول منتزعة ص ٢٩٣- ٢٩٤ وأرسطو، الكتاب الثاني، الفصل السادس ١١٠٦ أ.

العلم. الذي هو فضيلة ما للجزء النظري هو ان يحصل في النفس اليقين بوجود الموجودات التي وجودها وقوامها لا يصنع إنسان أصلاً.

- فصل: الحكمة هي علم الاسباب البعيدة التي بها وجود سائر الموجودات كلها ووجود الأسباب القريبة للاشياء ذوات الاسباب(١).

- فصل: العقل العملي هو قوة بها يحصل للإنسان، عن كثرة تجارب الأمور، وعن طول مشاهد الأشياء المحسوسة، مقدمات يمكنه بها الوقوف علي ما ينبغي ان يؤثر أو يجتنب، في شئ من الأمور التي فعلها إلينا.. وهذا العقل إنما يكون عقلاً بالقوة مادامت التجربة لم تحصل. فإذا حصلت التجارب في كل سن من اسنان الإنسان في عمره(٢).

- فصل: التعقل هو القدرة علي جودة الرؤية واستنباط الاشياء التي هي أجود واصلح فيما يعمل ليحصل بها الإنسان خير عظيم في الحقيقة وغاية شريفة فاضلة. كانت تلك هي السعادة أو شئ مما له غناء عظيم في ان ينال به السعادة(٣).

- فصل التعقل أنواع كثيرة: منها ما هو جودة الرؤية فيما يدير به أمر المنزل وهو التعقل المنزلي، ومنها جودة الرؤية فيما هو أفضل واصلح في بلوغ جودة المعاش وفي ان تنال به الخيرات الانسية مثل اليسار والجلالة وغير ذلك بعد أن يكون خير وله غناء في نيل السعادة(٤)

ماهية العدل والجور: العدل أولاً يكون في قسمة الخيرات المشتركة التي لأهل المدينة علي جميعتهم ثم بعد ذلك في حفظ ما قسم عليهم(٥).

---

(١) فصول منتزعة ص ٢٩٥ أرسطو، الكتاب السادس، الفصل الثالث، والكتاب السادس الفصل الخامس.

(٢) فصول منتزعة ص ٢٩٦ أرسطو، الكتاب السادس، الفصل الخامس.

(٣) فصول منتزعة ص ٢٩٦ أرسطو، الكتاب السادس، الفصل التاسع.

(٤) فصول منتزعة ص ٢٩٧ أرسطو، الكتاب السادس، الفصل الثامن.

(٥) فصول منتزعة ص ٢٩٩ أرسطو، الكتاب الخامس، الفصل الخامس.

فصل: والعدل قد يقال علي نوع آخر اعم وهو استعمال الإنسان افعال الفضيلة فيما بينه وبين غيره، أي فضيلة كانت(١).

٣- يحيى بن عدى

ويقدم لنا يحيي بن عدي المولود في أواخر القرن الثالث للهجرة والتاسع الميلادي (ح ٨٩٣- ٩٧٤م) في مدينة تكريت بالعراق، والذي يعد رئيس المدرسة الأرسطوطالية في عصره، «أول كتاب من نوعه عالج فيه مسائل الأخلاق علي طريقة أرسطو» هو كتاب «تهذيب النفس»، وقد تناول ابن عدي في كتابه مسائل اختلاف الأخلاق وقوي النفس الثلاث والأخلاق الحسنة ونقائضها، حيث يري ان الأخلاق لا تسند إلي المرء دون تغيير، بل ان منها ما كان في بعض الناس فضيلة، وفي بعضهم رذيلة ويختتم كتابه بأوصاف الإنسان التام ومكارم الأخلاق التي ينبغي أن يتحلي بها(٢).

لقد تتلمذ ابن عدي علي الفارابي ومن هنا اهتمامه الكبير بالمنطق الأرسطي تعريباً وتفسيراً وشرحاً وكذلك اهتمامه بالأخلاق. ويتتبع سحبان خليفات محقق رسالة الفارابي «التنبيه علي سبيل السعادة» أثر الرسالة علي الفكر الفلسفي في الاسلام خاصة لدي ابن عدي ويورد لنا نصوصاً عديدة منها ويقابلها بنصوص المعلم الثاني ليدلل علي العلاقة بينهما ليس في المنطق فقط بل في الأخلاق أيضاً(٣). ويتوقف ناجي التكريتي في دراسته بالانجليزية عن «تهذيب الأخلاق» ليشير إلي عدة مواضع يعتقد ان يحيي بن عدي كان متأثراً فيها بنص رسالة

---

(١) فصول منتزعة ص ٣٠٠ أرسطو الكتاب الخامس، الفصل الأول.

(٢) طبع كتاب تهذيب الأخلاق عدة طبعات تجارية والطبعات العلمية هي التي نشرها مراد فؤاد، القدس ١٩٣٠ وعنها نقل ماجد فخري في كتابه الأخلاق في الفكر العربي ص٣١٩، ٣٤٧ وحاتم جاد، دار المشرق بيروت، وناجي التكريتي مع دراسة بالانجليزية وصدرت في بيروت ١٩٧٨، انظر دراستنا عن يحيي بن عدي في كتابنا دراسات أخلاقية، دار قباء القاهرة ٢٠٠٠م.

(٣) د. سحبان خليفات مقدمة تحقيقه لرسالة الفارابي التنبيه علي سبيل السعادة، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٨ ص ٨٣، ٨٦.

التنبيه. ويرجع خليفات نصوص ابن عدي ليس للفارابي بل إلي أرسطو مباشرة(١). وان كان بدوي في مقدمة تحقيقه لكتاب الأخلاق لا يذكر ابن عدي ضمن من نقلوا أو تأثروا بالكتاب(٢).

ولا يختلف احد من الباحثين علي أرسطية يحيي بن عدي سواء في المنطق (راجع نيقولا ريشر: تطور المنطق العربي) أم الأخلاق، بل ان الأب سمير خليل في تحقيق لرسالة ابن عدي «مقالة في التوحيد» يري أرسطيته تظهر في تفسير الانجيل وكتابات الأباء التي فسرها طبقاً لمقولات أرسطو معتمداً علي رأي بيريه perur الذي يري انه من الممكن مقابلة كل جملة من المقالة في التوحيد بجملة تقابلها مستمدة من كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو وكتاب السماع الطبيعي له. ومن هنا نؤكد القول علي أن بن عدي لعب دوراً مهماً في تاريخ الدراسات الأرسطية في الإسلام. فقد اعطي نشاطه الواسع بصفته مترجماً أو شارحاً دفعة جديدة لدراسة أرسطو (٣).

ويتضح لنا من المصادر العربية القديمة معرفة ابن عدي بالأخلاق إلي نيقوماخوس. وقد أورد ابن النديم في «الفهرست» الذي ألف ٣٧٤هـ في الفصل الذي عقده لأرسطو ومؤلفاته ونقله عنه القفطي وابن أبي أصيبعة ما يلي: «ومن كتب أرسطوطاليس: نسخ من خط يحيي بن عدي من فهرست كتبه: «كتاب الأخلاق» فسره فرفوريوس، اثنتا عشرة مقالة، نقل إسحق بن حنين. كان عند أبي زكريا (ابن عدي) بخط إسحق بن حنين عدة مقالات بتفسير ثامسطيوس، وخرجت سريان(٤).

---

(١) د. سحبان خليفات، الموضع السابق.

(٢) د. عبد الرحمن بدوي: مقدمة تحقيقه لكتاب أرسطو الأخلاق إلي نيقوماخوس، وكالة المطبوعات، الكويت ٩٧٩ راجع صفحات ١٨-٣٧.

(٣) الاب سمير خليل محقق رسالة يحيي بن عدي: مقالة في التوحيد، المعهد البابوي روما، المكتبة البوليسية لبنان ١٩٨٠ المقدمة ص٣٠.

(٤) ابن النديم: الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران ص ٣٥٥ - ٣٢٣ ونشره فلوجل ص ٢٥٢.

ويتساءل بدوي: هل المقصود بهذا العدد من المقالات كتاب «نيقوماخيا» النص، أو تفسير فرفوريس له؟ وهل تفسير ثامسطيوس هذا بخط إسحق كان بالعربية، أو بالسريانية؟(١). ومهما كان الأمر، فهذا يعني عناية ابن عدي بأخلاق نيقوماخوس لأرسطو.

٤- العامرى:

يبدأ العامري القسم الأول من كتابه «السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية» بتقسيم السعادة إلي إنسية وعقلية، وكل منهما تنقسم إلي سعادة مطلقة وأخري مقيدة وأفلاطون وأرسطو يصفان المطلقة لا المقيدة. ويناقش هل السعادة الإنسية والعقلية موضوع واحد، أو موضوعين وكل واحدة منهما تامة أم احداهما ناقصة؟ اعتماداً علي فرفوريوس. ويعرض أقوال أرسطو في الفصل بين السعادتين. وما ذكره من قول متقدمي الفلاسفة في السعادة الإنسية ونقده أقوال هؤلاء، حتي يتسنى له ذكر ما قاله أرسطو طاليس في السعادة الإنسية ما هي وبما تقوم.

ويعرض العامري قول أرسطو في أقسام الخيرات الثلاثة: هيئات وآلات وأفعال ويشرحها، وقوله في الخير الذي هو اولي بمعني الخير والقول في حد الخير. حيث يورد قول أرسطو: «كل صناعة، وكل مذهب، وكل فعل، وكل اختيار فقد يظن بأنه يقصد فيه إلي خير ما وما أجود ما حدوا (به) الخير إذ قالوا بأنه المقصود إليه من كل شئ». ويتبع ذلك بتفسير قوله: «إن الخير (هو) المقصود إليه من كل شئ»(٢).

ويستعين العامري في القسم الأول الذي يدور حول السعادة والخير واللذة

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي: مقدمة لتحقيق كتاب أرسطو الأخلاق إلي نيقوماخوس، المقدمة.

(٢) العامري: السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية، تحقيق الدكتور أحمد عبد الحليم عطية راجع صفحات ٩٣، ٩٤، ١٠٧، ١٠٨ وسنشير فيما بعد أمام كل فقرة رقم الصفحة كما جاءت في تحقيقنا لكتاب العامري.

بما قاله أرسطو في أقسام اللذات، حيث تناول المعلم الأول النظريات التي قيلت في اللذة، ويناقشها مثل النظريات القائلة بأن اللذة ليست خيراً كما يناقش اللذات الحسنة واللذات الرديئة، واللذة واللذات الجسمية في المقالة السابعة من الأخلاق إلي نيقوماخوس، ويعرض لاقوال أرسطو «في اقسام اللذات» والقول في الآلام (الأشياء المؤذية) والالتذاذ والتأذي فعلان أم انفعالان؟ وشرح فرفوريوس الإنفعال أهو اللذة والاذي، أم الاحساس بالانفعال هو اللذة والاذي؟ وفي الفصل بين الانفعال النفساني وبين الانفعال الجسماني؟ والفرق بين الانفعال والفعل. كما يستشهد بأقوال أرسطو في أنواع اللذات، وبيان أن للإنسان لذة يختص بها وانها إنما هي لذة المعرفة.

وبيان العلة في انه لم صار للإنسان لذات مختلفة. والعلة في ميل الناس إلي اللذات الجسمية وفي هربهم من اللذات النطقية. وبيان انه ليس كل لذة بخير، وأنه غير جائز ان نقول بأن اللذات ليس بخير علي الاطلاق، وهو بالاضافة إلي نصوص أرسطو يعتمد شرح فرفوريوس في القول في ماهية اللذة والاذي (ص١١٨) وفي تفسيره لتعريف أرسطو للذة بعدما ناقض النظريات المختلفة التي قيلت فيها (ص١١٩) كما يستشهد بما جاء في مقالة اللام من ما بعد الطبيعة في توضيح معني اللذة (ص١٢٠) ويعرض للقول في السعادة العقلية وهي القصوي ما هي وبما تكتسب وتحصل من قول أرسطو (ص١٢١ - ١٢٢).

ويتناول العامري أقوال أرسطو في الفضيلة في القسم الثاني من السعادة والاسعاد «فمعني الفضيلة أن يختص شئ من بين ما هو مساو له بزيادة اسم الجودة» (١٢٩) وتتفق استشهادات العامري في هذا القسم مع ما جاء من موضوعات في المقالة الثانية من الأخلاق إلي نيقوماخوس، التي تدور حول الفضيلة. حيث يعرض اقسام الفضائل، فالفضيلة صنفان منها فكرية ومنها خلقية، فالفكرية كونها وتزيدها في أكثر الأمر يكون بالتعليم ولذلك تحتاج إلي دربة طويلة ومدة من الزمان، والخلقية تكتسب من العادة» كما يعرض للفضيلة الخلقية (ص١٣٠) التي يتناولها أرسطو في الفقرة السادسة من المقالة الثانية.

ويفسرها بتوسع مستعيناً بأمثلة أرسطو مبيناً أنه ليس في التوسط افراط وليس في الافراط توسط. والعلة فيما يظن به من أن بعض الاطراف أقرب إلي الوسط، كما يعرض للرذيلة (ص١٣٣) وان الفضائل والرذائل مكتسبة، وانها ليست لنا بالطبع ولكنها فينا بالطبع. ويعرض كيف تكتسب الفضائل والرذائل؟ وكيف يعرف الفاضل والرذل؟ كما يعرض للفضائل المختلفة حسب التعريف الأرسطي. ويبدأ بالعفة التي تحدث عنها أرسطو في الفقرة ١٣ من المقالة الثالثة من الأخلاق (الترجمة العربية ١٣٣ - ١٣٨) ويتحدث عنها الفارابي في رسالة التنبيه (ص٢٠٠)(١).

ويذكر قول أرسطو طاليس في الشره. وبيان ان الشره مع هربه من الاذي غير متخلص منه وأن العفيف من محبته للذة واصل إلي اللذة، وفي الحرية التي يتناولها أرسطو في «بقايا المقالة السابعة المضافة» والمتلاف، وفي النذالة (ص١٤٠- ١٤١) وفي الحريص يفني وان كثر ماله، وفي صفة الغني، وفي الرفيع الهمة (ص١٤٣)(٢).

ويذكر أقوال أرسطو «في محبة الكرامة» وفي المفرط في محبة الكرامة، وفي المتصلف وهو المتكبر (ص١٤٥- ١٤٦) وفي الوضيع، و«في الحياء» الذي يعرفه أرسطو في الفقرة ١٥ من المقالة الرابعة من نيقوماخيا (الترجمة العربية ص١٧٠) ثم يتناول القحة وهي الخلاعة، والنجدة من قول أرسطو طاليس (ص١٥١) وفي الشجاعة كيف تستبان، التي تناولها أرسطو (ص١٢٢) والفارابي

---

١) ويتابع الراغب الاصفهاني في «الذريعة إلي مكارم الشريعة» تعريف أرسطو، والذي نجده لدي العامري في تعريفه عن العفة، وعند أبي ابن الربيع في سلوك المالك في تدبير الممالك (تحقيق ناجي التكريتي ص١٠٧) وعند مسكويه في تهذيب الأخلاق (طبعة القاهرة ١٩٥٩ ص٢٠).

(٢) ويذكر بدوي تعريف كبير الهمة كما ورد عند العامري نقلاً عن نيقوماخيا (مقالة ٤ فصل٧ ص١١٢٣ ب من النص اليوناني، ورد في الترجمة العربية لتحقيق بدوي ص١٥٣ بصورة مختلفة. ويستنتج بدوي من هذا الاختلاف وجود أكثر من ترجمة لكتاب نيقوماخيا(ص٢٦). ويضيف ان في كتاب «السعادة والاسعاد» نقول كثيرة جداً عن نيقوماخيا دون ذكر اسم الكتاب، ومن السهل ردها إلي نظائرها في نيقوماخيا، وهو ما ظهر لنا في العرض السابق.

في رسالة التنبيه (ص١١٩) ومسكويه (ص٢١) كما يعرض أقوال أرسطو «في السبب المولد للشجاعة، في المعني الذي لأجله ظن بالغضب انه المولد للشجاعة وفي المتشبهين بالشجعان والفصل بينهم وبين الشجعان، وفي الأشياء المفزعة. وفي الجبن، وفي التقحم، وفي الهم وفي الفرق بين الهمة وبين المخافة (ص١٥٤) وفي الرحمة، وفي الغضب وفي الحلم، الذي يعرفه أرسطو (ص١٦١ من الترجمة العربية) والحيلة في اكتساب الحلم. وفي البغضة وفي الفرق بين الغضب والبغضة (ص١٦٢).

كما يعرض العامري للمحبة والصداقة في سياق واحد مثلما يفعل أرسطو ومثلما نجد لدي مسكويه في المقالة الخامسة من كتابه، ويذكر حد أرسطو للصديق، والفرق بين المحبة وبين الصداقة، وان المحبة ضرورية في الحياة. يذكر أرسطو المحبة في المقالة الثامنة في نيقوماخيا[1]. وينقل العامري من الفقرة الثامنة من أرسطو حول المساواة واللامساواة في الصداقة (ص٢٨٧) ما كتبه تحت عنوان في ان أكثر المحبات طبيعية (ص١٦٦) ويعرض أنواع المحبات كما يذكرها أرسطو في الفقرة الثالثة من المقالة الثامنة (ص٢٧٧ - ٢٧٩) ويضيف في الفقرة اللاحقة عن أرسطو «لواحق المحبات الذاتية وخواصها» والمحبات العرضية وخواصها. وكذلك يتناول هل يحتاج السعيد إلي اصدقاء. التي عرضها أرسطو تحت نفس العنوان في الفقرة التاسعة من المقالة التاسعة. كما يستشهد بأقوال أرسطو في: القول في فواعل الصداقة، وما جاء من الكلام المنشور فيها (ص١٦٩) وفي المعاشرة ما هي؟ وما يجب للاباء والامهات من حق العشرة، وفي المعاشرة بالهمة والفعل دون الأختلاط (ص١٧٣) وما جاء في الكلام المنشور في المعاشرة وفي المداعبة والراحة، وفي الكبير النفس.

---

(١) وبالمقارنة يتضح اختلاف الصياغة عند العامري عما جاء في الترجمة التي حققها بدوي مما يشير إلي احتمال وجود ترجمتين عربيتين، أو علي الأقل اعتماد العامري علي شرح فرفوريوس المفقود.

ان هذه الاستشهادات التي ينقلها العامري عن نيقوماخيا مع استشهادات أخري عن أفلاطون وجالينوس تقدم لنا مصادر العامري في السعادة والاسعاد وترسم لنا ملمحاً هاماً من ملامح ثقافته هو الملمح اليوناني الذي يضاف إلي ملمح فارسي اشار إليه كل من: فيدت ومجبتي مينوفي وكوربان والملمح الاسلامي الذي اكد عليه كل من سحبان خليفات وأحمد عبد الحميد غراب، الذي حقق كتابه «الاعلام بمناقب الاسلام»(١). وسنشير إلي أرسطيته التي تشكل جانب من الملمح اليوناني عنده. حيث يؤكد التوحيدي علي تبحر العامري في الفلسفة اليونانية، وانه كان منكباً علي كتب أرسطو وله علي بعضها شروح وانه قد شرح كتب أرسطو وشاخ فيها(٢). ورغم أن المدرسة الفلسفية التي كان يغشاها التوحيدي كانت ترفض بعض آراء أرسطو كما يخبرنا روزنتال، خاصة ما جاء في كتابه عن السماء علي اعتبار أنه خطأ ووهم فإن العامري كان يقبل اراء أرسطو وكان يلام علي هذا(٣).

ويوضح خليفات أرسطية العامري في تمهيد تحقيقه لكتاب «التنبيه علي سبيل السعادة» فهو يبين ان في السعادة والاسعاد معالجة لما تناوله الفارابي في كتابه بل ان عناصر الدراسة هي هي مع فارق ذي قيمة وهو ان ابا الحسن ينقل في كل مسألة أقوال أرسطو، ويتبين من تحديد العامري لغرضه من الكتابه أنه عين غرض الفارابي في رسالته وأرسطو في جزء من الأخلاق. ويؤكد خليفات ذلك ثانية في تحقيقه «رسائل العامري وشذراته الفلسفية» حيث نلتقي في «السعادة والاسعاد» .. بأفكار أرسطو من خلال الفارابي. وإن كان خليفات يعلي من شأن

---

(١) سحبان خليفات: مقدمة تحقيق رسائل العامري وشذراته الفلسفية، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٨ ص ١٨٦، ود. أحمد عبد الحميد غراب: مقدمة تحقيق الاعلام بمناقب الاسلام، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٦٧.

(٢) انظر مقدمة تحقيقنا لكتاب السعادة والاسعاد، الصورة الأرسطية.

(٣) روزنتال: مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة، الدار القومية للكتاب بيروت ط٤، ١٩٨٢، ص ١٤٨

أثر أفلاطون والأفلاطونية المحدثة أكثر من أرسطو علي العامري ويبين رضوان السيد (في تعليقاته علي الماوردي في تحقيقه «تسهيل النظر وتعجيل الظفر» فكرة الوسط الأخلاقي الأرسطية في نيقوماخيا، وأنها موجودة لدي الفلاسفة الأخلاقيين العرب المسلمين ومنهم العامري(١).

وتتأكد أرسطية العامري من بيان كتاباته المختلفة التي تعتمد علي المعلم الأول مباشرة أو تعرض لمسائل وردت في كتابات أرسطو. وذكر لنا العامري نفسه في حديثه عن مصنفاته في بداية كتابه «الامد علي الأبد» أنه قدم شروحاً علي أورجانون أرسطو، فقد شرح الأصول المنطقية(٢). وله تفسير كتاب البرهان ووضع شروحاً علي كتاب المقولات. وتشهد مؤلفاته الميتافيزيقية علي أرسطيته كما يتضح في «العناية والدراية» وهو اختصار لمذهب أرسطو فيما بعد الطبيعة. ويشير خليفات إلي أن للعامري ايضاً «التوحيد والمعاد» الذي أوضح فيه طريق أرسطو(٣). كل هذا مما يشهد علي أرسطية العامري ومدي متابعته للمعلم الأول نقلاً وشرحاً وتلخيصاً في المنطق والميتافيزيقا والأخلاق ومع ذلك يتأرجح الباحثون بين والقول بأرسطيته ولقول بأفلاطونيته ويضاف أيضاً فارسيته وإسلاميته.

٥- مسكويه

ومن العامري ننتقل إلي مسكويه إمام الفلاسفة الخلقيين في الاسلام (٣٢٠-٣٧١هـ) صاحب «تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق»، الذي يتكون من ستة أقسام: الأول في مبادئ الأخلاق وماهية النفس وقواها وماهية الخير والفضائل والرذائل. والثاني في الخلق وتهذيب، والثالث الخير وأقسامه، والرابع في العدالة، والخامس في المحبة والصداقة، والسادس في صحة النفس وطريقة حفظها. تتفق الاقسام

---

(١) د. رضوان السيد، مقدمه تحقيقه لكتاب الماوردي تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، المركز الاسلامي للبحوث، بيروت ١٩٧٨ ص ١٠٩.

(٢) ابو الحسن العامري: الأمد علي الابد، تحقيق أورناك. روسن: دار الكندي، بيروت ١٩٧٩ ص٧٥

(٣) د. سحبان خليفات: مقدمة تحقيق رسائل العامري وشذراته الفلسفية.

الخمسة الأولي مع الموضوعات الخلقية التي طرقها أرسطو في الأخلاق النيقوماخية أما القسم الأخير فيعكس التأثيرات الرواقية والأفلاطونية المحدثة التي تسربت إلي العالم الإسلامي من خلال الشروح والتعاليق ولاسيما شروح فرفوريوس الصوري وجالينوس(١).

بينما يري حسن حنفي ان هذا العمل يعبر عن تمثل الوافد قبل تنظير الموروث كما أوضح لنا في الباب الثاني عن التحول في كتابه «من النقل إلي الابداع» . فتهذيب الأخلاق ربما هو التأليف الأول الذي يحاول وضع أسس علم الأخلاق باعتباره علماً مستقلاً داخل النسق بعد الالهيات، وبالرغم من تعدد موضوعاته إلا أنه يتميز بوحدة الفكر والاحالة المستمرة إلي بعضه البعض، كما يحيل مسكويه إلي باقي اعماله مما يدل علي وحدة المشروع والرؤية والتكامل بين اجزائه(٢).

يعرض مسكويه في المقالة الثانية لإمكانية تفسير الخلق ويوضح رأي الرواقيين وجالينوس وأرسطو، الذي بين في كتاب الأخلاق وفي كتاب المقولات أيضا أن الشرير ينتقل بالتأدب إلي الخير ولكن ليس علي الاطلاق، إلا أن أرسطو يري أن تكرير المواعظ والتأديب وأخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لابد ان يؤثر ضروب التأثير في ضروب الناس فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك إلي الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك إلي الفضيلة بابطاء (نيقوماخيا ك٣ ف١١أ، ١٨- ٢٤) وهو يصيغ ذلك برهانياً علي النحو التالي: كل خلق فقد يمكن تغيره. لا شئ مما يمكن تغيره هو بالطبع فأذن ولا خلق واحد هو بالطبع (ص٣٣-٣٤)(٣).

يقدم مسكويه في نهاية القسم الثاني من كتابه خاتمة ومدخلا للقسم الثالث

---

(١) د. ماجد فخري: الفكر الأخلاقي العربي، ص ٣٥١.

(٢) د. حسن حنفي: من النقل إلي الابداع، المجلد الثاني، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠م ص ٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٣-٣٤.

توضيحاً لهدفه من العمل وخطته فيه يقول: ولما كان غرضنا في هذا الكتاب السعادة الخلقية وان تصدر عنا الافعال كلها جميلة.. وكان النظر يتقدم العمل وجب أن تذكر الخير المطلق والسعادة الإنسانية لنلحظ الغاية الأخيرة ثم نطلب بالأفعال الارادية التي ذكرنا جملها في المقالة الأولي. وأرسطو طاليس إنما بدأ كتابه بهذا الموضوع واختتمه بذكر الخير المطلق ليعرف ويتشوق. ونحن نذكر ما قاله ونتبعه بما اخذناه أيضاً عنه في مواضع اخر ليجتمع لنا ما فرقه ونضيف إلي ذلك ما اخذناه عن مفسري كتبه والمتقبلين لحكمته نحو استطاعتنا(١).

ولا يحتاج الأمر إلي تعليق حيث يؤكد مسكويه متابعته لكتاب أرسطو نيقوماخيا، الذي يتناول الخير المطلق والسعادة، ويضيف إليه ما جاء عنهما في مؤلفات أرسطو الأخري وشروح شراحه. لذا فهو يتناول في القسم الثالث الخير واقسامه، أو السعادة ومراتبها بألفاظ أرسطو طاليس اقتداء به وتوفية لحقه فيقول: «ان الخير علي ما حده واستحسنه من آراء المتقدمين هو المقصود من الكل، وهو الغاية الأخيرة. وقد سمي الشئ النافع في هذه الغاية خيراً، فأما الخير الذي يقصده الكل بالشوق، فهم بأجمعهم مشتركون فيها، فأما السعادة فهي خير لواحد واحد من الناس، فهي اذن بالاضافة وليس لها ذات معينة(٢).

ويتضح اعتماد مسكويه علي أخلاق أرسطو وشرح فرفوريوس في تحديده أقسام الخير. يقول: «والخير علي ما فسره أرسطو وحكاه عنه فرفوريوس وغيره»(٣).

فأما اقسام السعادة علي مذهب هذا الحكيم فهي خمسة أقسام، ويعددها لنا. ويري ان من اجتمعت له هذه الأقسام كلها فهو السعيد الكامل علي مذهب هذا الرجل الفاضل. ومن حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك (نيقوماخيا: ١١٠٠ أ. ١-٣).

---

(١) مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق، تحقيق قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت ١٩٦٦ ص٧٣.

(٢) مسكويه ص ٧٥ وهو ما ذكره أرسطو في نيقوماخيا ١١٠٩٤أ. ٢، ٣.

(٣) مسكويه ص٧٦ منقول عن نيقوماخيا، الكتاب الأول ١٠٩٩ ب، ١٠٩٩ ب١٥.

وتحت عنوان هل تحصل السعادة في الحياة الدنيا؟ يعرض آراء القدماء في السعادة العظمي، الذين ظن البعض عنهم أنها لا تحصل للإنسان إلا بعد مفارقته للبدن والطبيعيات كلها. والفرقة الثانية، التي رئيسها أرسطو طاليس رأت أن السعادة الإنسانية تحصل للإنسان في الدنيا، إذ سعي لها وتعب بها حتي يصير إلي اقصاها ولما رأي الحكيم ذلك وان الناس مختلفون في هذه السعادة الانسانية وانها اشكلت عليهم اشكالاً شديداً احتاج ان يتعب في الابانة عنها جزء من الفضيلة بل هي الفضيلة كلها. ولا الجور الذي هو ضدها جزء من الرذيلة، لكن الرذيلة كلها[1] وفي أقسام العدالة: نعود إلي ما كنا فيه من ذكر العدالة فنقول أن أرسطو طاليس قسم العدالة إلي ثلاثة اقسام ويعددها لنا.. ليؤكد، أن هذا ما قاله أرسطو طالس[2].

ونجد نفس الموقف في القسم الخامس «المحبة والصداقة» حيث يتابع في حديثه عن المحبة أنواعها وأسبابها ما جاء في نيقوماخيا (١١٠٤ب، ٣٠-٣١، ١١٥٥ب، ١٧ - ١٩) وايضاً الصداقة وأنواعها (نيقوماخيا ١١٥٦أ، ٣١-١١٥٦ب، ٦). وفي حديثه عن المحبة الهية يوضح أنها هي التي يقول فيها أرسطو طاليس عن ايرقليطس. ان الأشياء المختلفة لا تتشكل ولا يكون منها تأليف جيد فأما الأشياء المتشاكلة فهي التي يسر بعضها بعض ويشتالق بعضها إلي بعض. (نيقوماخيا ١١٥٦أ، ٢١-٣٠، ١١٥٥ب، ٥-٨).

٦- ابن باجه

استهل ابو بكر الصائغ مرحلة التأليف الفلسفي الاصيل في الأندلس كما يوضح محقق رسالته. الذي يورد لنا خلفه ابن طفيل الذي يقر انه لم يخلف الطائفة الأولي من العلماء من الاندلس «اثقب ذهنا ولا اوضح نظراً ولا اصدق رويه من ابي بكر بن الصائغ» ويشيد به ابو الحسن بن الامام الذي قدم

---

(١) مسكويه، المرجع السابق ص١١٧

(٢) مسكويه، المرجع السابق ص١١٩

للمجموعة الوحيدة من رسائل ابن باجة التي انتهت إلينا علي اساسين أولاً استهلاله لطور التأليف الفلسفي في الاندلس، ثانياً بلوغه شأوا بعيداً في فهم اقاويل أرسطو بزفيه الفارابي وابن سينا(١). ويتضح الناظر في آثار ابن باجة إلمامه بالتراث الأرسطو طاليسي والأفلاطوني كذلك فلسفة أهل المشرق لاسيما الفارابي والغزالي.

ومصادره الأرسطوطالية: «ما بعد الطبيعة» ، الذي ذكره في الفصل الحادي عشر من «تدبير المتوحد» و«كتاب السماع»، الذي توفر علي دراسة مقالاته حتي ان تعاليقه علي كتب السماع الثمانية واستدراكاته هي أوفي ما وصلنا من آثاره، وهي تشهد له بطول الباع في الغوص علي معاني أرسطو طاليس غوصاً لم يبزه فيه إلا ابن رشد(٢). وكتاب الأخلاق الذي يشير إليه في «تدبير المتوحد» و«رسالة الوداع» عدة اشارات. يقول لورانس بيرمان: «في غرب العالم الإسلامي كان إبن باجة الفيلسوف والشاعر المبدع مطلعاً بشكل عميق علي كتاب «الأخلاق» واستخدمه باسهاب في كتاباته. وربما يعد مؤلفه «رسالة الوداع» خلاصة لكتاب الأخلاق. وقد اطلع ابن باجة أيضا علي شرح الفارابي لكتاب الأخلاق، كما أشرنا لهذا فهو يمثل حلقة وصل بين الفارابي من جهة وابن ميمون وابن رشد من جهة أخري اللذين تأثرا بابن باجة تأثراً عميقاً(٣).

يفيض ابن باجة في الباب الأول في بيان معني التدبير في رسالته «تدبير المتوحد» موضحاً أن المدينة الفاضلة تختص بعدم صناعة الطب وصناعة القضاء

---

(١) د. ماجد فخري: مقدمة تحقيق رسائل ابن باجة الفلسفية، ص١٤.
وقد اهتم المحدثون به اهتماماً كبيراً بين نشر وتحقيق اعماله مثل: د. ماجد فخري ود. محسن زيادة وجمال الدين العلوي والاهتمام بجوانب معينة في فلسفته كالمعرفة والسياسة د. فوزية عمار والحركة فيز الطبيعة وما بعد الطبيعة د. محسن زيادة والأخلاق مثل جورج زيناتي.

(٢) يعتمد ابن باجه علي مؤلفات أرسطو ويذكرها لنا في كتاباته ويشير إليها اكثر من مرة مثل الميتافيزيقا الذي يذكره في تدبير المتوحد والسماع الطبيعي الذي قدم عليه تعليقات عديدة.

(٣) لورانس ف. بيرمان مرجع سابق.

ويبين ان هذه الأمور تلخصت في كتاب نيقوماخيا. والانسان تلحقه الأفعال الضرورية التي لا اختيار له فيها.. وأيضاً الافعال التي لا اختيار له فيها أصلاً وبعض ما للاختيار فيها موقع وقد لخصت هذه كلها في نيقوماخيا[1]. ويتناول في الفصل الخامس من الباب الثالث «القول في الصور الروحانية» الفضائل الفكرية وهي العلوم، والعقل الذي يذكره أرسطو في السادسة (ف٥) ويشير إلي نيقولاماخيا في الفصل السادس[2] ويستشهد في الفصل التاسع بقول أرسطو في المقالة الأولي من نيقوماخيا ان النقص ليس من قبل السن أو بها بل من قبل العادة والخلق[3].

ويستشهد ابن باجة بكتابات أرسطو المختلفة في «قول يتلو رسالة الوداع» حيث يذكر لنا كتاب النفس (ص١٤٧ - ١٤٨) وكتاب الحيوان (ص١٤٩) والمقالة الثانية من السماع الطبيعي (ص١٥٠) وما جاء في أول كتابه «في السماء والعالم»، والمقالة الثانية من «الكون والفساد». وفي «اتصال العقل بالانسان» يذكر تلخيص «ما بعد الطبيعة» (ص١٥٥، ١٦٩) وباري ارمنياس (ص١٥٧) وكتاب «في منافع الاعضاء» والمقالات الأخيرة من كتاب «الحيوان» (ص١٥٧) والنفس (ص١٥٩ و١٦٠ و١٦٢).

ويري ابن باجة في «رسالة الوداع» ان الفارابي توسع في بيان الغاية وان قول أرسطو فيها (في الأخلاق إلي نيقوماخوس) مجمل جداً لا يمكن الاكتفاء به (ص١١٤). ويناقش الغزالي فيما أورده في «المنقذ من الضلال» من امر اللذة، ويري أنه يمكن أن يحتج في تصويب هذا الرأي بما قيل في نيقوماخيا (ك٩ ف٤ ١١٦٦أ - ١١٦٦ب) (ص١٢١) فمن طلب العلم للذة كمن يطلب مع الأكل والشرب الالتذاذ بما لا يصح به جسمه.. ومن هذه ومن اشياء أخري كثيرة احصت في

---

(١) ابن باجة: تدبير المتوحد ص ٤٢ ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق ص٦٨.

(٣) المصدر السابق ص٧٣.

مواضع كثيرة يظهر من أمر اللذة أنها ليست غاية، فكيف كان قصوي[1]. والفضائل الفكرية عنده منها عملية ومنها نظرية، كذلك العقل الذي يذكره أرسطو في السادسة من نيقوماخيا (ك٦ ف٥) إنما هو معد لأن نفعل عنه الأفعال التي توجبها الحكمة فكلها محركات ومدبرات وفاعلات لا غايات قصوي، لأن الفاعل ينقص عن الغاية بهذه الرتبة وهي أنه من أجلها كان، فإنها لو كان غير موجودة كان وجوده عبثاً[2].

٧- ابن رشد

اهتم ابن رشد بالأخلاق أو الحكمة العملية وان كان اهتمامه بهذا المجال أقل من اهتمامه بالحكمة النظرية إلا أنه في المجالين كان كما هو معروف لدي الباحثين أرسطياً حتي في شرحه علي كتاب السياسة لأفلاطون الذي استعاض به عن شرح كتاب السياسة لأرسطو بسبب عدم ترجمته للعربية. فهذا العمل يتناول العلم المدني بشقيه السياسي والأخلاقي. وكان شرح ابن رشد لجمهورية افلاطون مفقوداً حتي عهد قريب في العربية إلا أنه ترجم أخيراً ترجمتين من الإنجليزية ومن العبرية. وبالإضافة إلي هذا الشرح فإن لابن رشد شرحاً للأخلاق إلي نيقوماخوس. ويقدم لنا جورج قنواتي بياناً بأعمال ابن رشد فيذكر ترجمة هرمان الألماني وترجمة بيتر جروستيت وكذلك ترجمة سموئيل بن يهودا المرسيلي شرح ابن رشد كتاب الأخلاق إلي نيقوماخوس كذلك ترجمة تودروس الأزل[3]. وبالإضافة إلي هذين العملين يمكن أن نشير إلي شرح ابن رشد لكتاب الخطابة الذي يتناول في فقرات عديدة من المقالتين الأولي والثانية قضايا الأخلاق المختلفة: الخير والشر، اللذة والسعادة، الفضيلة والعدالة، الصفات والأحوال الأخلاقية. وابن رشد في شرحه حتي علي كتاب «السياسة» لأفلاطون كان أرسطياً.

---

(١) ابن باجة رسالة الوداع ص١٢٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٧.

(٣) الأب جورج شحاته قنواتي: مؤلفات ابن رشد، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٧٨.

في بداية جوامع سياسة أفلاطون يميز ابن رشد متابعاً في ذلك أرسطو بين أقسام العلوم الثلاثة العملي والطبيعي والإلهي، يدور العلم العملي أو الحكمة العملية علي السياسة والأخلاق حيث يقوم علي الأفعال الإرادية وهو يختلف عن العلوم «أو الحكمة» النظرية بوجه عام من حيث الغاية فبينما تهدف هذه العلوم النظرية هدفاً محدداً هو المعرفة من أجل المعرفة فإن الحكمة العملية غايتها المعرفة بالعمل. وهو يقع في قسمين: الأول يتناول الملكات والافعال الإرادية وصلتها بعضها ببعض، بينما يتناول القسم الثاني ترسيخ هذه الملكات في النفس حتي تصبح كاملة بحكم العادة والدربة(١). ونود أن نشير منذ البداية أن جزءاً هاماً من سياسة النفس وسياسة المنزل أدرجه ابن رشد في مجال الفقه ونجده في كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

ونذكر من المقدمات التي ينبني عليها علم الأخلاق عند ابن رشد المقدمات التالية إن الكمالات الإنسانية علي أربعة أقسام هي: الفضائل النظرية والمعرفة «العقلية» والخلقية، أو العملية «الصناعات» إلا أن اسمي هذه الكمالات عنده هي النظرية التي تخضع لها بقية الكمالات الأخري كما تخضع الصناعات أو الحرف الدنيا للعليا والمثل الذي يقدمه هو تسخير صناعة اللجامة (صنع الألجمة) للفروسية(٢).

والمقدمة الثانية التي تنبني عليها الأخلاق والسياسة وهي ضرورة الاجتماع البشري حيث يري أن بلوغ الفرد جميع هذه الكمالات بمفرده أمر عسير ، لذا احتاج الفرد إلي معونة غيره فالإنسان حيوان مدني بالطبع. وهو لا يحتاج إلي غيره من أجل بلوغ الكمال فقط. بل أيضاً من أجل البقاء فالاجتماع عند ابن

---

(1) Lerner: Averroes on plato's Republic, p. 3.

هذا وقد ترجم هذا العمل مرتين أحداهما عن الإنجليزية وقام بها حسن العبيدي وصدرت عن دار الطليعة بيروت ١١٩٨، والثانية عن العبرية وانجزها أحمد شحلان وظهرت ضمن المؤلفات الرشدية، إشراف محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨

(2) Lerner, P. 5.

رشد ضروري لكمال الإنسان وبقائه معاً وهذا هو موضوع العلم المدني أو السياسة، وهي القسم الرئيسي الثاني من العلم العملي(١).

وينطلق ابن رشد في فلسفته الأخلاقية من تعريف الفضيلة وعلاقتها بأقسام وقوي النفس. فهو يقسم النفس إلي عاقلة وغير عاقلة وغير العاقلة إلي غازية ونزوعية. ونشير في هذا الصدد أن هذا التقسيم نجده في الكتابات الأخلاقية العربية بدئاً من الكندي (ت ٨٦٦م) وابن سينا (ت ١٣٠٧) وغيرهما، وهو مستمد من أفلاطون. إلا أن فيلسوفنا في تلخيص كتاب «الأخلاق» لأرسطو علي وجه الخصوص يعتمد في تصنيف الفضائل علي المعلم الأول وليس علي أفلاطون، أي أنه يقسمها إلي قسمين أساسيين: الفضائل العقلية والفضائل الخلقية ويعلي الأول علي الثانية. وهذه الفضائل الخلقية هي: الشجاعة، والعفة والسخاء والتواضع والصدق والمحبة وكبر الهمة والعدالة. بينما الفضائل العقلية عنده تتمثل في: العقل البديهي «الفطري»، التعقل» العلم اليقيني، الحكمة، إن ابن رشد هنا – ومعه الفارابي – يختلف عن بقية الفلاسفة الأخلاقيين العرب فهو يتابع في تقسيمه للفضائل الخلقية الرئيسية والفرعية أرسطو خاصة في الكتاب السادس من الأخلاق النيقوماخية، بينما بقية الفلاسفة العرب أو معظمهم خاصة الكندي ومسكويه الذين يتابعون في تقسيمهم للفضائل الخلقية الأسس المشائية والرواقية المتأخرة حيث يقدمون لها تبويباً مختلفاً(٢).

والموضوع الثاني الذي يتناوله ابن رشد في علم الأخلاق هو موضوع السعادة التي تمثل مبحثاً هاماً لدي الفلاسفة العرب، وهم في ذلك يتابعون أرسطو، فالسعادة هي الخير الأسمي الذي يهدف إليه البشر والسبيل إليه هو الفضائل الخلقية والفضائل النظرية وعلي هذا فالنظر العقلي هو الوسيلة التي نصل من خلالها إلي تحقيق هذا الخير الأقصي أو السعادة وما الأفعال

---

(١) ليرنر: الموضع السابق.

(٢) راجع مقدمة د. ماجد فخري: الفكر الأخلاقي العربي، ص ٩، ١٤.

الإنسانية المختلفة، أو الخيرات الأخري من ثروة وصحة وجاه وكل نشاط إنساني سياسي أو اجتماعي إلا وسيلة لبلوغ هذه الغاية. ويبين لنا ماجد فخري في دراسته عن فلسفة ابن رشد الأخلاقية اختلاف ابن رشد عن أسلافه في مسألة الاتصال حيث يري ابن رشد أن الاتصال هو أن ندرك بالفعل شيئاً مجرداً بالكلية، ماهيته أنه جوهر مفارق، وأنه في نفسه عقل بالفعل، أي العقل الفعال بينما في تعليقه علي الفصل السابع من الكتاب العشار من نيقوماخيا يكتفي بالقول - متابعاً أرسطو - أن موضوع الإدراك الأخير هو التأمل في أفضل الأشياء، وهي الأشياء الإلهية، دون الإشارة إلي العقل الفعال. ويري ماجد فخري في ذلك التردد تأرجحاً بين مذاهب أسلاف ابن رشد المستمدة من الأفلاطونية المحدثة وبين مذهب أرسطو كما فسره الإسكندر الافردويسي. ويخلص فخري من ذلك إلي أن الخوض في مسألة الاتصال - وإن كان من قضايا نظرية المعرفة - فهي تعد من القضايا الأخلاقية عند الفلاسفة العرب، خاصة الذي تأثروا بالأفلاطونية المحدثة حيث اعتبروا الترقي في معارج العلم النظري المؤدي إلي الاتصال بالعقل الفعال سبيلاً من السبل المفضية إلي السعادة وهي المطلب الأخير عندهم وأيضاً عند أرسطو، وان ابن رشد علي الرغم من تجاوزه مذهب الصدور الأفلاطوني المحدث في الإلهيات والكوزمولوجيا فهو لم يتحرر منه تماماً في مجال نظرية المعرفة والأخلاق(١).

---

(١) د. ماجد فخري: فلسفة ابن رشد الأخلاقية. أعمال مؤتمر ابن رشد بالجزائر، ١٩٧٨، ص ٧، ٨.